Journal d'Hérodote des sciences humaines et sociales	*Volume10/ N°:02 (2026), p 204-194*

التربية والتعليم في الجزائر بين منظومة التربية و الحواضر الإسلامية القديمة.

Education in Algeria between the modern educational system and the old Islamic urban centers.

طالب الدكتوراه: نورالدين محمدي	أ.د عمر بلعربي
جامعة الحاج لخضر باتنة 1 –الجزائر–	جامعة الحاج لخضر باتنة 1 –الجزائر–
noureddine.mohammedi@univ-batna.dz	belarbi.omar83@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2026/04/14 **تاريخ القبول: ...2026/07/12**

● **الملخص:**

يتناول هذا البحث أبرز الفروق بين التعليم في حواضر المغرب الأوسط قديما وبين منظومة التربية الوطنية الجزائرية حديثا، وذلك من خلال تسليط الضوء على المراحل التعليمية الأولى للأولاد المتعلمين، والنظم التعليمية بين القديم والحديث، ومعرفة العوامل التي أسست للتقدم الحضاري في منطقة البحر المتوسط في عهد الحواضر الإسلامية، في محاولة لأجل تدارك الإصلاحات والتعديلات المتتالية التي لا تزال تبحث عن حلول لمشاكلها وتحسين مستوى الأولاد المتعلمين معرفيا وسلوكيا وأخلاقيا والحد من تجاوزات العنف و التسرب المدرسي.. و كذلك لأجل تطوير ذاتها وتحسين مستواها...

كلمات مفتاحية: حواضر علمية، شيخ، معلم، متعلم. مناهج.

Abstract:

This study explores the key differences between education in the urban centers of the medieval Maghreb and Algeria's modern national education system. It highlights the initial stages of education for young learners, compares traditional and contemporary educational systems, and identifies the factors that contributed to the region's cultural and scientific advancement during the Islamic era. The paper seeks to address ongoing educational reforms and adjustments aimed at resolving issues such as violence, school dropout rates, and the ethical and behavioral development of learners. It also discusses ways to improve the educational system's self-development and elevate the learners' academic and moral levels

.**Keywords:** Scientific lecturers, sheikh, teacher, learner. Curricula.

- **مقدمة**

لقد أنشئت في المغرب الأوسط بعد الفتح الإسلامي العديد من مراكز التربية والتعليم مثل: المساجد، والمدارس، والكتاتيب، ونحوها... وكانت بالأساس لأجل تعلُّم المفاهيم الإسلامية الجديدة، التي وفدت عليهم مع الفاتحين الجدد، وكذلك تعلُّم اللسان العربي، و لكن مع مرور الوقت، كثرت المعارف والعلوم، وبرز علماء كثر في مختلف الفنون العلمية، ومن جملة ذلك: ميدان التربية والتعليم .. فقد برز في تاريخ المغرب الإسلامي منظرون كبار أمثال الشيخ محمد بن سحنون (ت256هـ) ، والشيخ ابن الجزار القيرواني (ت369 هـ/980م)، و الشيخ أبو الحسن القابسي (324 هـ /403 هـ)، وعبد الرحمن بن خلدون مؤسس علم الاجتماع، وقد كان لهؤلاء نظريات وتوجهات مختلفة، ورؤى متعددة في مجال التربية والتعليم... الأمر الذي جعل لحواضر المغرب الأوسط إشعاعا علميا ساطعا، لفت أنظار المهتمين بالعلم في المشرق والمغرب...

وأما في المرحلة المعاصرة فقد شهدت الجزائر غداة الاستقلال 1962م دمارا كبيرا على الصعيد العلمي، والاقتصادي، و الاجتماعي، والثقافي، خلفه المستدمر الفرنسي الغاشم.. ولقد كان التعليم الموروث عن فرنسا مبنيا على أهداف تمحو الشخصية الجزائرية، وتطمس هويتها العربية والإسلامية وتاريخها المجيد، فكان لزاما تبديله بنظام تربوي مبني على أهداف تحافظ على الهوية الجزائرية المسلمة والتاريخ الصحيح.. وقد كان من الصعب القيام به دفعة واحدة، وإنما كان التعديل على مراحل متوالية مواكبة للواقع والتغيرات العصرية ..

كان الهدف من كلّ تلك التعديلات التربوية المبرمجة على مراحل زمنية هو تثبيت هوية وشخصية المتعلم الجزائري، وإعادة بعث الريادة العلمية والإشعاع الحضاري الذي حصل في الحواضر القديمة للمغرب الأوسط، لكن مع مرور عقود من الزمن ـ أكثر من نصف قرن ـ مازالت التعديلات حاصلة في قطاع التربية، على الرغم بما يتم الآن من عصرنة الوسائل، والمؤسسات التعليمية، و كذلك إعطائه أولوية بالغة من قبل الدولة، وتعيين خبراء وطنيين ودوليين للإشراف والتوجيه، وتعيين خريجي الجامعات للقيام بالعملية التربوية، إلا أن النتائج لم تكن مرجوة كما سُطِّرَ لها غداة الاستقلال، بل ظهر مؤخرا بعد الألفية الجديدة جيل شبه منفصم عن الشخصية الجزائرية القويمة، كما نشأ في المجتمع اضطراب أخلاقي كبير على نحو غير مسبوق، وكذلك قلّ أسلوب الحوار بين الأفراد والجماعات، وحلّت محلّه الفضاضة والاعتداد بالنفوذ والمال...أما الأسرة فقد تفكك كثير منها، وسُجِّلت لها أرقام قياسية رهيبة جدّا، كما ضُربت العديد من قيم المجتمع وأعرافه، الأمر الذي استهجنه الكثير العقلاء في المجتمع والمصلحين... وقد عزا كثير من خبراء الاجتماع والإعلاميين ورجال الدين و السياسة ورجال هذه النتائج السيئة إلى فشل المنظومة التربوية لكونها الحاضنة الثانية بعد الأسرة. وفشلها في تلقين الناشئة أسس الهوية الجزائرية العميقة، عدم و تهيئتهم للتكامل والتجانس مع الأجيال السابقة..

ولمعالجة هذه الإشكالات فقد جاء هذا البحث الموسوم بـ " التربية والتعليم بين الحاضر وحواضر المغرب الأوسط." يحدد أبرز القضايا المشتركة في ما يخص التربية والتعليم بين حواضر المغرب الأوسط في العصر الوسيط وبين منظومة التربية الوطنية المعاصرة، كما تم الاعتماد في عمل هذا البحث على المنهج المقارن وتسليط الضوء على أبرز الفروق الواضحة بين النظامين.

ومن أجل الوصول إلى نقاط واضحة نطرح الإشكالات التالية:

ما هي الأسس والقيم والمبادئ التي بُني عليها التعليم في حواضر المغرب الأوسط قديما حتى جعلت للمجتمع شخصية وهوية مميزة، وتقدما علميا وإشعاعا حضاريا في شمال أفريقيا؟

ماهي النظم التعليمية المعتمدة في حواضر المغرب الأوسط التي أسهمت في الحفاظ الهوية والشخصية الجزائرية؟

ما الفرق بين التعليم في حواضر المغرب الأوسط وبين مناهج التربية والتعليم الجزائرية الحديثة؟؟

وأما عن أهمية وفائدة هذه الدراسة فإنها تهدف بالأساس إلى السعي لإبراز التاريخ التعليمي و التربوي للمغرب الأوسط في مرحلة من مراحله التاريخية التي والت الفتح الإسلامي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إبراز أهمية الدراسة كموروث علمي وتراث حضاري وثقافي، وإثراء الخزانة العلمية والأدبية الجزائرية، والاستعانة به في الإصلاحات التربوية والمناهج التعليمية الحديثة المعتمدة من قبل وزارة الداخلية..

و خلال المضي في هذه الدراسة وقفت على بعض الدراسات الأكاديمية التي عرضت لهذا الموضوع، ومشابهة لها في الأهداف أذكر منها: أطروحة الدكتوراه الموسومة بـ العوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7ـ 9 هـ/ـ 13 ـ 15 م من إعداد رزيوي زينب، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة سيدي بلعباس، عالجت فيها أهم العلوم النقلية والعقلية آنذاك، وعرجت إلى طبيعة التعليم خلال سردها لأهم العلوم والمؤلفات. وهناك أيضا ورسالة ماجستير بعنوان : " التربية والتعليم في المغرب الأوسط خلال القرنين السابع والثامن الهجريين(14/13م)" من إعداد: صفية ديب، قسم التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة-. وهي رسالة جاءت وافية جدا تناولت البحث في قضايا التربية والتعليم خلال القرنين السابع والثامن الهجريين.

- **أهم ميزات التربية والتعليم بين الحواضر القديمة ومنظومة التربية الوطنية:**

1. مكانة التربية والتعليم في المجتمع:

عند الحديث عن التربية والتعليم، لا بد من معرفة مكانته في أوساط المجتمع بكلّ فئاته ومدى تفاعل واستجابة الناس له... ولا ريب أن العلم بجملته مقبول في الأوساط الاجتماعية سواء في الحواضر الإسلامية القديمة أم في المجتمع الجزائري المعاصر.. ذلك لما يحوزه العلم من مكانة مرموقة في الدين الإسلامي، فالنصوص الإسلامية المقدسة[1] تمجّد العلم وتضرب به الأمثال في نعمة المعرفة ورفع الغبن والجهل عن العقول الكاسدة، وكذلك لحاجة الناس إليه في تصريف أمور حياتهم مثل الطب والصيدلة والحساب ونحو ذلك.. " لا بد للناس من أمير يحكم بينهم ولولا ذلك لأكل الناس بعضهم بعضا، ولا بد للناس من شراء المصاحف وبيعها ولولا ذلك لقلّ كتاب الله، ولابدّ للناس من معلم يعلم أولادهم ويأخذ على ذلك أجرا ولولا ذلك لكان الناس أميين"[2]

[1] القرآن والسنة

[2] ابن سحنون، آداب المتعلمين، تح: حسن حسني عبد الوهاب، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، ط:1، 1972، ص: 82

وقد وصل الأمر بتعظيم الشيخ أو المربي في القديم بأن كانوا ينزلونه منزلة الولي الصالح، وكثيرا ما يُؤسّس العمران وتسمى المدينة أو الرُّبط باسمه، حتى بات هذا الأمر ميزة شهيرة عند ساكنة المغرب الأوسط " المشهور عند أهل المغرب رَبْطُ تأسيس الحواضر بالأولياء والصالحين، لهذا نجد الربط الثنائي بين الولي والمدينة فنقول مثلا تبسة أو مدينة سيدي بن سعيد، البليدة سيدي أحمد الكبير أو مدينة الورود، الجزائر مدينة سيدي عبد الرحمن الثعالبي، ثم مليانة سيدي أحمد بن يوسف، وهران مدينة سيدي الهواري، تلمسان مدينة العباد أو مدينة سيدي أبي مدين شعيب، مدينة بلعباس أو سيدي بلعباس البوزيدي.."[1]

وقد كان التعليم في الحواضر الإسلامية القديمة بابا من أبواب الفقه يتعبدون الله به[2]، فلا يقربه إلا من كان من أهل الديانة والورع.. وكان حاملا للعلم متحلّيا بالهمة والحزم والجد وحسن اللباس ولباقة المعاملة، متخليا عن خوارم المروءة و سفاسف الأمور، وكما العلم –ومن ضمنه التعليم –يعد بابا من أبواب الفقه التي يتقربون بها إلى الله –عز وجل– وأما من باشر هذه المهنة لأجل التكسب وطلب المعيشة فهو نادر جدا..

ومعنى ذلك أن النظرة العامة والخاصة للتعليم كانت نظرة إجلال وتقدير، ولا ينال هذا الشرف العظيم إلا من اصطفاه الله – سبحانه وتعالى– على الناس، فهو بمكانة حامل القرآن[3] وقد كان العلماء أو الطلاب المتعلمين يستشعرون قدر الأمانة الموكلة إليهم، فتجدهم يأخذون من أموالهم وصحتهم، ويهدرون أوقاتهم في سبيل تعلم هذا الشرف وتعليمه للناس، ولا يثني ذلك من عزيمتهم شيئا.. وهذا ما يعطي دفعا لتقدم العلوم و إتقانها، وكذلك ما يفتح الله عليهم من الأسرار بسبب صدق النوايا ما لا يعلمه إلا الله –تبارك وتعالى –.. [4]

أما في المجتمع الجزائري المعاصر، فإن التعليم وإن كان محترما إلى حد ما، فإنه ليس بتلك القداسة التي أولاها الأولون للعلم والمعلمين، ففي الوقت الذي كثرت فيه الكماليات ووسائل التّرف صارت المهن والحرف عموما – ومنها التعليم – تقاس بما تقدمه من ثروة وتوفير الكماليات، ورفاهية العيش، وبما أن التعليم إنتاجه لا مادي يفي بمقام الكفاف والعفاف، فإن الشغف والإعجاب يُصرفان إلى غيره وإن كان لا يُنكر فضله وخيره، وأحيانا ما تجد أصحاب الحرف والصناعات الأخرى يتفاخرون على صناعة التعليم ويقللون من شأنها لما توفره صناعتهم من الترف والعيش الرغيد.. وفي الحالين يكون الأثر النفسي للمهتمين بمهنة التعليم موهنا للعزائم مثبطا لها، وصارفا للطلاب إلى صناعات وحرف أخرى تضمن لهم حياة الرفاهية العيش الكريم أكثر مما توفره مهنة التعليم، وفي الأخير ينعكس ذلك سلبا على التحصيل العلمي وتقويم السلوك والتنشئة الروحية أقل من المستوى المأمول بكثير.

2. ـ قيمة المعلم:

[1] د. محمد الأمين بلغيث، فصول في التاريخ والعمران بالغرب الجزائري، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2024، ص: 66.

[2] ومن ذلك الإمام البخاري جعل كتاب العلم بعد كتاب الوحي و كتاب الإيمان. أنظر : محمد أبو إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط: 1، 2002، ص: 26 . و كذلك الإمام مسلم النيسابوري جعل الكتاب السابع والأربعين كتاب: العلم، أنظر: أبو الحسين مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: أبو قتيبة نظر، محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 2006، ص: 1229.

[3] سواء كان العلم للدنيا أم لدين.

[4] يقول الله تعال: (واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم) سورة البقرة: 281 .

وأما عن قيمة المعلم التي هي جزء من قيمة العلم. ففي الحواضر العلمية القديمة غالبا ما يكون المعلم إماما أو عالما ذا صيت كبير، له هيبة ووقار عند الناس، يُجلُّونه ويحترمونه حتى الأمراء، " وكان أول من دشّن هذا الازدهار الحضاري في المجال الفكري بالدولة الزيانة يغمراسن بن زيان، مؤسس الدولة، الذي فتح أبواب بلاطه على مصراعيها لجلب واستقطاب رجال العلم الذين تلقوا العناية منه، حيث شجعهم، وأعلى مكانتهم في دولته، فقد كان يبحث عنهم أينما كانوا ويستقدمهم إلى تلمسان حيثما وجدوا " [1] ويُقدَّمون دوما في المناسبات والمكرُمات.

أما في الواقع الجزائري المعاصر فإن المعلم أقرب ما يكون إلى أي موظف في قطاعات أخرى تابعة للوظيف العمومي، وقد يعامل بنفس المعاملة التي يعامل بها موظفو القطاعات الأخرى، و قد تثار حوله الدعاية الإعلامية في بعض الأحيان، وبخاصة إذا صدر منه أي خطأ مهني فادح، هذا من الناحية الاجتماعية، وأما من الناحية العلمية فعلى الرغم من كونه المعلمين والمربين اليوم أكاديميين وحاملين لشهادات علمية مؤهلة إلا أن الرصيد المعرفي يختلف بشكل متفاوت بين هؤلاء المعلمين. بل وإن كثر من المعلمين والمدرسين في المؤسسات التربوية ينقطعون عن البحث العلمي والتزود المعرفي المفيد إما بسبب الارتباط الوظيفي، أو بسبب الالتزامات الأسرية والشخصية أو بسبب زوال الشغف إلى العلم، حتى أنه في بعض الأحوال يسعى للبحث عن مصادر ربحية أخرى لتحسين رصيده المالي.. الأمر الذي يقلّل من قيمته في نظر المجتمع بما لم يكن في عصر الحواضر العلمية القديمة. فهو بالتالي ليس بنفس القيمة والمكانة التي كان يحظى بها من قبل.. ومنه فإن القائم على العملية التعليمية اليوم تقل عزيمته ويقل معها رصيده العلمي والمعرفي مقارنة بما كان عليه الحال في الحواضر القديمة من الاستزادة في العلم والمعرفة .

يعد هذا عاملا مهما في التحصيل المعرفي للتلاميذ في النتائج الفصلية أو السنوية أو حتى في الانضباط السلوكي والأخلاقي.

3. المناهج التعليمية:

بناء المناهج أو الطرائق التعليمية في الحواضر العلمية القديمة يقوم عليه أهل الاختصاص من علماء المسلمين، وقد اعتمدت أبرز الطرائق الفعالة مثل: " طريقة الإلقاء والتلقين، وطريقة الإلقاء والشرح، وطريقة الحوار والمناظرة "[2] وتكون حسب المراحل التعليمية مراعية لسن المتعلم، وهي على التنويع مع التركيز على أهم الفنون، أما الأسس التي تُبنى عليها فهي قيم الهوية الإسلامية، لا يخرج المتعلم عن هذه القيم مهما تخصص في الفنون والعلوم، سواء كانت العقلية أم النقلية[3]، " وكان الاعتماد على

---

[1] صفية ديب، التربية والتعليم في المغرب الأوسط خلال القرنين السابع والثامن هجريين (13- 14م)، رسالة ماجستير، منشورة، قسم التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، ص: 55.

[2] أنظر مريم هاشمي، الروابط الثقافية لمدينة بجاية مع حواضر المغرب الإسلامي، – دراسة نماذج – (تلمسان، فاس، بجاية) من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجريين (12م/15م)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، منشورة، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر،2018-2019، ص: 246-247.

[3] هذا ليس مقصورا على العلوم الشرعية واللغوية، بل كل فنون العلم العقلية والنقلية.

الـذاكرة والحفـظ كبـيرا في هـذه الفـترة، وتعـد وسـيلة أسياسـية للتحصـيل، وهـو الشـيء الـذي دفـع بهـم إلى الاسـتمرار والمطالعـة، والاكثـار من المذاكرة والمناظرة والتدريس والاشتغال بالتأليف، حتى لا تتعرض معلوماتهم إلى النسيان "[1]

أمـا مـا يحصـل في المنـاهج التعليميـة الحديثـة فهـي في أغلبهـا مسـتوردة مـن مـدارس غربيـة يقـوم عليهـا مختصـون في ميـدان التربيـة الجامعـات الإسـلامية الحديثـة فـأكثر المنـاهج التعليميـة مسـتوردة مـن الغـرب أو برؤيـة الخـبراء غـربيين، قـد تكـون صـحيحة وناجحـة إلى حـد كبـير في بيئـاتهم وثقـافتهم، لكـن لا يلـزم مـن ذلـك أن تتماشـى وتتكيـف مـع بيئتنـا وثقافتنـا وأعرافنـا الاجتماعيـة، وهـذا مـا ينـتج عنـه غالبـا صعوبة في الاندماج والإنتاج.

4. المعلم:

القـائم علـى العمليـة التربويـة في الحواضـر القديمـة يـتم اختيـار مـن لـه أهليـة العلـم، ومـن لازم الأشـياخ في ذلـك الفـن، وتأدب بأدب العلمـاء، وأحيـانا يعينـه الحـاكم للتعلـيم في دولتـه وقـد أوردت العديـد مـن المصـادر التاريخيـة حـول دولـة بـني زيان أن سـلاطين بـني زيان كـانوا يشـرفون بأنفسـهم علـى تعيـين الأسـاتذة في مـدارس دولـتهم ويـدفعون لهـم أجـورهم كمـا يحضـرون مجـالس دروسـهم. فهـو بـذلك أمـين علـى الطـلاب يعـاملهم مثـل أهـل بيتـه[2]، ولا يقتصـر في حياتـه علـى بـذل المـادة العلميـة فقـط، بـل لـه فضـل كبـير في تقـويم سـلوكهم و تحسـين أخـلاق الطـلاب، أو حـتى مسـار حيـاتهم، كمـا يعطـيهم خلاصـة الحيـاة مـن الحكمـة والنصـيحة، حـتى إذا تخرجـوا علـى يديـه يكـون لطلابـه – وإن كـان العلـم قلـيلا- فكـرٌ صـحيح ومنطـق سـليم، ونظـرة سـديدة إلى الحيـاة ، يسـيرون فيهـا سـير البصـير المجـرب.. وأمـا عـن أجرتـه " قـد خصصـت السـلطة الرواتـب والأجـور، ولكـل العـاملين في المـدارس، كمـا تكفلـت بإعانـة الطلبـة مـاديا وبتحمـل جميـع نفقاتهم، ومصاريفهم وحرص المشرفون على الدارس على إنشاء المكتبات وغمرها بالكتب... "[3]

إن كثـيرا مـن مسـائل التعلـيم كانـت تعـرض علـى أهـل الفتـوى ليعـرف محلهـا مـن الحـلال والحـرام، يقـول ابـن سـحنون: في مسـألة اشـتغال المعلـم عـن الطـلاب: " ولا يحـل للمعلـم أن يشـتغل عـن الصـبيان إلا أن يكونـوا في وقـت لا يعرضـهم فيـه[4]، فـلا بأس أن يتحدث وهو في ذلك ينظر إليهم ويتفقدهم" [5]..

أمـا في التعلـيم المعاصـر فـإن المعلـم أو الأسـتاذ قـد يتخـرج في الكليـة و لديـه نقـص في الرصـيد المعـرفي، بخـلاف المعلـم الـذي يحمـل العلـم في صـدره، وأمـا الضـابط التعبـدي فقليـل مقارنـة بسـابقه، بسـبب نظـرة المعلـم قـديما إلى الوظيفـة التعليميـة، وأمـا مـا يتعلـق بأخـلاق المعلـم وانضـباطه فـان الكثـير مـن المعلمـين والمعلمـات – بـدافع الحريـة الشخصـية والفرديـة- لا يلتـزم بأخـلاق المعلـم القـدوة، سـواء في التزامـه بالقـيم والأخـلاق و الأعـراف الاجتماعيـة، أم في تعاملاتـه الماليـة مـع النـاس، أم غـير ذلـك ممـا لا يجامـل فيـه المجتمـع، وتكـون النتيجـة أن يقـلّ الـوازع الأخلاقـي، و ينعـدم الضـمير المهـني لـدي بعـض المعلمـين، فـلا يضـعون أنفسـهم موضـع القـدوة الحسـنة أمـام المجتمـع

---

[1] د. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، (دراسات سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص: 354.

[2] أنظر ابن سحنون، آداب المعلمين، باب ما جاء في العدل بين الصبيان، ص: 35.

[3] د. عبد العزيز الفيلالي، تلمسان في العهد الزياني، (دراسات سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص: 326.

[4] يعرِّضهم: يعرضون عليه حفظهم من القرآن.

[5] ابن سحنون، آداب المعلمين، ص: 57.

والمتعلمين، و قد يصل الأمر بالبعض من القائمين على التربية والتعليم أن لا يعاملوا الطلاب على مبدأ العدل والإحسان، فتسقط هيبته ومكانته في نظر المجتمع عموما والمتعلمين على وجه خاص، فيضطرب النظام الأخلاقي للتعليم وتنعدم الثقة وينعكس ذلك كله سلبا على التحصيل العلمي، والتربية الأخلاقية والسلوكية للمتعلمين، بخلاف ما كان من كان من المعلمين في الحواضر العلمية يستفتي في كل مسألة وفي أي بادرة تصدر منه ليعرف موقف الشرع منها، الأمر الذي يجعل من المعلم رقيبا على نفسه..

5. المتعلم:

كان المتعلم في الحواضر العلمية يختلفون بحسب الحال، والمرحلة التعليمية، ونوع التعليم الذي يتلقاه، فأبناء الملوك والأمراء وورثة الملك يُخشى عليهم من الأذية، فيتعلمون في بيوتهم، ويُجلب لهم المدرسون والمؤدبون الأكفاء، وأما أبناء عامة المجتمع فيدفعون الأجرة إلى المعلم مقابل تعليم أبنائهم، والفقراء وأما أصحاب الحاجة ممن لا يقدر على دفع الأجرة للمعلم كثير منهم لا يتعلمون، هذا مع التزام المتعلم الأدب والاحترام لمدرسهم.. " أن يجلس بين يدي الشيخ جلسة الأدب متربعا بتواضع وخضوع وسكون وخشوع، ويصغي إلى الشيخ ناظرا إليه متعقلا لا يحوجه إلى إعادة الكلام مرة ثانية"[1] إذ لم يكن منهم أصحاب الفسوق والجرائم أو إلزام المعلم بتدريسهم، وأيضا كان المتعلمون يتجنبون الجمع بين الذكور والإناث مع تقدم العمر لتجنب الفساد الأخلاقي، ونقل عن الإمام مالك الكراهة في الاختلاط بين الجنسين" "وأكره للمعلم أن يعلم الجواري ويخلطهن مع الغلمان لأن، ذلك فساد لهم " [2]

أما حال المتعلمين في المؤسسات التعليمية اليوم، وفي كثير من الأحيان يوسع للمتعلم في بعض الحريات، وغالبا تستغل في تجاوزات للقيم والأخلاق والأعراف الاجتماعية بما لا يليق بالمتعلم، الأمر الذي لم يكن في التعليم القديم، وأما أجرة المعلم على عاتق الدولة وإعفاء الأولياء وأبنائهم من تكاليف المعلمين وهذه من الأمور المحمودة كذلك، لكن من الناحية الأخلاقية فالتعليم الحديث بما فيه من التيارات الفكرية والأخلاقية السلبية المنتشرة بين صفوف المتعلمين أدى إلى تغير فكري وأخلاقي مناف في العديد من الأحيان لمبادئ التعليم، وهو ما يعكس صورة بعيدة عن العلم و الرّقي الحضاري...

6. المحتوى التعليمي:

كان المحتوى التعليمي في الحواضر القديمة على اختلاف أنواعه كله من منشأ واحد في بداية التعليم الأولي، فيلقن المتعلم أولا حفظ القرآن الكريم، وعلوم اللغة العربية، والحديث النبوي الشريف، والقيم الإسلامية المثلى، والفصيح البليغ من النثر والشعر العربي، ثم يتجه إلى العلوم الأخرى العلمية أو النقلية، أمّا التعليم في التخصص أو الاحترافي فتتم في المساجد الجامعة والمدارس المشهورة جدا " ففي هذه المرحلة ينكبون على دراسة مختلف التخصصات العلمية إلى جانب العلوم الدينية " [3] وهكذا كان التعليم الأولي رصينا بما فيه الكفاية لتنشئة الجيل على ثوابت ترسخ هويته وأصالته، التي لا يتنازع عليها اثنان وهي: الدين الإسلامي الذي يتعبد به وينظم حياته، ولغته العربية التي هي لغة البحث ولغة العلم آنذاك، ووطنه الذي نشأ فيه وترعرع فيه، يحمي ويتركه لأبنائه، ثم

---

[1] زينب رزيوي، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7 و 9 هـ / 13 و 15 م، أطروحة دكتوراه، منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2016، ص: 77.

[2] ابن سحنون، آداب المعلمين، ص: 79.

[3] محمد بو شقيق، العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن الـ 9هـ/ 15 م مذكرة ماجستير ، منشورة، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2004 .

تأتي بعد ذلك التخصصات المختلفة التي يمضي فيها الباحث حياته وقد يصل إلى حد الموسوعية في العلم.. أما في التعليم المعاصر فالتعليم الأولي أو ما يسمى بالتعليم الابتدائي أو المتوسط فهو قليل جدا من حيث المضمون مقارنة بالتعليم القديم من حيث التعليم القرآني للمتعلمين وقوة اللغة العربية، وكذلك ما يسمى بالتعليم الخاص أو المدارس الخاصة التي في كثير منها ما تسطر محتوى التعليمي خاص بها، وقد يخلو في كثير منها التأكيد على جودة اللغة العربية، وحفظ القرآن الكريم و ضبطه، والعناية بالحديث الشريف، ودراسة التاريخ الوطني الذي يعزز فيه حب الوطن ويمكنه في نفسه الأمر الذي يجعل من المتعلم ينطلق من أرضية هشة وغير متينة، فلا يمكن أن يشيد عليه الشيء الكثير.. أما من حيث التخصص في التعليم الاحترافي أو التعليم العالي متشابهان فيمكن القول أن الجامعات المعاصرة أكثر تفرعا وتخصصا مقارنة بالتعليم القديم..

7. الغاية من التعليم:

التعليم في الحواضر العلمية القديمة له أبعاد متعددة، ولعل الهدف العام منها نشر العلوم والمعارف والقضاء على الجهل الأمية.. إلا أن له أغراضا أخرى نجمل أهمها :

أ- الحفاظ الهوية العربية الإسلامية: وذلك من خلال التعليم القرآني واللغة العربية والتاريخ الإسلامي الصحيح ومبادئ الحساب.. هذا كمرحلة مبدئية يدرك من خلالها انتماءه إلى الأمة، و يمر بهذه المرحلة جميع المتعلمين، ثم ينتقل بعد ذلك إلى المرحلة الثانية في المساجد والكتاتيب والمؤسسات التعليمية الأخرى..

ب- "غرض خلقي: يكتسب الصبي جملة من الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة بالإضافة إلى التقوى وتعلم الصلاة والصوم وحب الآخرة.."[1]

أما في التعليم المعاصر مع بعض المقررات المستوردة على قيم وأسس الغير فإن هذه الغاية باتت غير مضمونة بشكل سليم.

ج- الإعداد للحياة: ومعناه أن التعليم منذ مرحلة الابتدائي يزرع في الطفل فكرة الاستعداد للمستقبل وعدم التوكل على الغير، والسعي للكسب الطيب سواء بالعلم أم بغيره، إذ ليس الهدف من التعليم هو الاتكال عليه في المعيشة وإنما يصنع منه رجلا مثقفا واعيا عاقلا قوّاما على شؤون الحياة.

أما في التعليم المعاصر فنجد كثيرا من المتخرجين بطالين لا يعملون أعمالا أخرى بسبب اتكالهم على الدولة في توفير مناصب الشغل في ميدان تعلمه فقط، فإذا لم يجد ما يوافق مهنته فإنه يظل بطالا يلقي باللوم على الدولة.. كذلك مع قلة النضج الفكري والقوامة على مسؤوليات الحياة.

د- التربية الإرادية: وهي من الأهداف الثمينة، وهي عدم الاستسلام أمام الصعاب والصبر وتحمل المشاق في سبيل بلوغ الغايات. والتي من آلياتها تعويد المتعلمين على نوع من الشدة والصبر والتحدي..

[11] د. بشير رمضان التليسي، الإتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن (4هـ/ 10م)، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:1، 2003، ص: 376.

هـ – الإسهام في بناء الأمة: وذلك من خلال التعليم الاحترافي ومواصلة البحث إلى الممات، ينتج عنه علماء مختصون في ميادين شتى . وهو الأمر الذي يصنع الحضارة بشقيها: الفكرية والعمران...

أما في التعليم المعاصر فإن المؤسسات التعليمية والتربوية متوفرة بشكل واف ومجاني متاح للجميع، وهذا لم يكن متاحا على هذا الشكل في العصر الحواضر العلمية القديمة، و الأمر المحمود في تعليمنا المعاصر أنه ينتج أعدادا هائلة من المتعلمين والمثقفين، لكن الكثير منهم غير فعّال في المجتمع وغير إيجابي، لا تأثير له في بيئته ومجتمعه إلا القليل أو بحسب ما تقتضيه مصلحته أو وظيفته..

عامل آخر وهو تسابق الدول والأمم من الشرق والغرب على تصيد النوابغ والمتفوقين في الدراسة في الجزائر واحتوائهم والاستفادة منهم.. الأمر الذي يوهن العزائم، ويتعب كاهل الدولة التي تنفق الكثير في سبيل تعليمهم وتكوينهم ثم في الأخير يغادر بلده وهو ما يسمى بـ "هجرة الأدمغة".. هذا السلوك يفقد الثقة في التحصيل العلمي و يُسهم إلى حد كبير في التخلف عن الركب الحضاري.

- **خاتمة:**

إن بناء الحضارات يعتمد أساسا على العلم والعقل واللّغة. فإذا اختلّ أحد هذه الشروط الثلاثة تعطلت الشروط الأخرى، وتأخرت عن بناء الحضارة، وقد أيقنت الحواضر الإسلامية القديمة هذه المعاني العظيمة فعملت على تحقيقها من خلال تنشئة الأجيال في مراحله التعليمية الأولى على الأسس التالية:

1/ العلم: فهيأت له برامج تعليمية قوية ومعلمين وعلماء أكْفاء في الاختصاص،

2/ العقل: فعملت على تنمية القدرات العقلية من خلال تعليم المنطق والبرهنة والحجاج واستنباط الدليل والحوار والاقناع،

3/ اللغة العربية: وعملت على تعليم اللغة العربية الفصيحة من خلال تحفيظ القرآن الكريم، والعناية بالحديث الشريف، واستيعاب الجيد من كلام العرب شعرا ونثرا، حتى تكونت عنده ملكة لغوية وذوق بلاغي فريد..

فبهذه الأسس الثلاث حصلت لتلك الحواضر الريادة الحضارية قبل غيرهم من الأمم، والنتيجة أنهم تركوا لنا هائلا المرويات، والمصنفات، والأسفار النفيسة التي مافتئ الاستدمار الفرنسي في أول أيامه على سرقتها والعناية بها..

ولما تخلّف التعليم المعاصر عن هذه المعاني السامية نشأ الجيل على مستوى تعليمي ضعيف في مراحله الأولى بسب تعدد اللغات، وكثرة التعديلات، وكثرة المناهج و النظريات التعليمية من هنا وهناك، وأما العقل فقد أُضيعت الكثير من عوامل تقويته مثل تعلم المنطق والحوار والحجاج والبرهنة، وأما اللغة فنجد فالتعليم القرآني، والعناية الحديث، الشريف، واستيعاب الفصيح من الكلام العربي قليل جدا، بل استبدل بكثير من الأدب المترجم، والكتابات التي تكاد تخلو من الفنيات الأدبية، ذلك إما لأن ترجمتها رديئة، أو لأن مؤلفيها ليسوا في درجة عالية من الإتقان الأدبي على الرغم من أنهم أصحاب الرواية والأدب..

إن التراخي في توظيف الآليات المؤدية إلى التحصيل العلمي المتين وتقوية العقل واكتساب اللغة العربية الفصيحة في المنظومة التربوية الجزائرية المعاصرة اليوم أكسب الجيل الناشئ تذبذبا واضحا في التحصيل العلمي، وفتورا كبيرا في العزيمة والإرادة. مع ما نشهده اليوم من تنافس الأمم على السبق والريادة فإنه قد انهزم انهزاما غير مسبوق و تولى القهقرى إلى أجل غير مسمى.

- **قائمة المصادر والمراجع:**

1) القرآن الكريم برواية ورش.

2) محمد ابو إسماعيل البخاري (256هـ)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط: 1، 2002.

3) أبو الحسين مسلم النيسابوري (261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: أبو قتيبة نظر، محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 2006.

4) أبو الحسن القابسي (403هـ)، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، تح: أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس: ط: 1، 1986.

5) ابن سحنون (265هـ)، آداب المتعلمين، تح: حسن حسني عبد الوهاب، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، ط:1 1972.

6) د. بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن (4هـ/ 10م)، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:1، 2003.

7) محمد عواوي، مناهج التربية والتعليم، دار المفيد، سوريا، . ط: 1، 1335هـ

8) كمال الدين الحلبي (660هـ)، الدراري في ذكر الذراري، تحقيق علاء عبد الوهاب، دار السلام، بيروت، لبنان، ط: 1، 1984.

9) د. محمد الأمين بلغيث، فصول في التاريخ والعمران بالغرب الجزائري، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، 2024.

10) سعد، عبد السلام، قراءة في المنظومة التعليمية الجزائرية، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، جامعة زيان عاشور، الجلفة ، الجزائر.د.ت.

11) د. عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، (دراسات سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

12) مريم هاشمي، الروابط الثقافية لمدينة بجاية مع حواضر المغرب الإسلامي، – دراسة نماذج – (تلمسان، فاس، بجاية) من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجريين (12م/15م)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر،2018-2019.

13) زينب رزيوي، العلوم و المعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7 و 9 هـ / 13 و 15 م، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2016.

14) صفية ديب، التربية والتعليم في المغرب الأوسط خلال القرنين السابع والثامن هجريين (13- 14م)، رسالة ماجستير، كلية، قسم التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر.

15) بوخضار فايزة، مدارس المغرب الأوسط الزيانية والمرينية (دراسة تاريخية أثرية) رسالة ماجستير، منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر -2- ، الجزائر، 2011.

16) بن تركية سعيدة، التربية والتعليم في المغرب الاوسط خلال القرنين السابع والثامن هجريين (13 /14 م) رسالة ماجستير، منشورة، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2016.

17) لغيثم مصطفى، هجرة العلماء بين المغربين الأوسط والأقصى – دراسة اجتماعية ثقافية – (ق 7 /9 هـ -- 13 / 15 م)نرسالة ماجستير ، منشورة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر -1- ، الجزائر ، 2013.

18) محمد بو شقيق، العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن الـ 9هـ/ 15 م مذكرة ماجستير ، منشورة، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2004.